عطفة خوخة

كغيرهم من آلاف الطلبة الوافدين من القرى، ومن مختلف المحافظات، تمكن أربعتهم من إيجاد شقة بحجرتين، في ذلك الحي الشعبي.كانت بالطابق الأرضي،حملوا ملابسهم وكتبهم وقسموا أنفسهم، كل زميلين بغرفه، وكان حسام طالب الفنون الجميلة مسئول الإعاشة، لدرايته بفنون الطبخ الذي يهواه، ويتفنن فيه، على قدر ميزانيتهم المتواضعة، وبحكم وجود شرفتهم الأرضية قريبة من الشارع، ومن مدخل البيت ذي الطوابق الخمس،كانوا أول من يشاهد كل من يصعد أو ينزل من الجيران.

اعتادوا رؤية"طارق"تاجر الحشيش، صديق صاحب العمارة المحكوم عليه في قضية جلب مخدرات،كان دائم الصعود إلى شقة السجين، يقضي الليلة مع "أم عمرو" صاحبة البيت، الآن في غياب الزوج، وبعد إسبوعين من استئجارهم الشقة، انقطع طارق عن زيارة المرأة، بعد شجار يقول الجيران أنه مصطنع، فقد زهدته بشعره المفرود

وملابسه ذات الألوان الغريبة، حتى أن أحدهم كان يطلق عليه اسم"شعبله"لتشابه ذوقه مع المطرب شعبان عبد الرحيم، في ارتداء الملابس والأساور الرجالية حول معصميه.

وعندما طرقت " أم عمرو" باب شقة الطلبة في ذاك اليوم، فتح حسام الباب، مدت يدها إليه، بوَلهٍ مصطنع؛ " ازيك يا أستاذ"

ثم استحلفته يطلع شقتها، يراجع مع ابنها دروسه، لقرب الامتحانات لكنه رفض بحجة؛ "كلنا عندنا امتحانات معلش ياحاجة"،

وفورا شهقت؛ "حاجة دا إيه؟ شايفني عضم في قفة ولا البعيد ماعندهوش نظر؟"

تلجلج "حسام"، واحتار، فأنقذه ياسر قائلا: "باعتذر لك ياهانم شوفي له مدرس بعد إذنك".

ثم أغلق الباب، مرت ساعة أو أكثر بقليل، وتأتي المرأة لتطرق بابهم ثانية، تسأل عن دجاجة، ادعت أنها سقطت أمامها من شرفتها إلى شرفة الشباب.

كل عدة ساعات لا تمل من ردودهم الجافة، ولا كشفهم الأسباب الملفقة التي تدفعها لمحاولاتها المكذوبة تلك.

في أحد المرات، وبعد مراقبة الشباب، وتأكدها من خروج ثلاثتهم، وكان حسام وحده يطبخ لهم غذاء اليوم، طرقت الباب. كان قد أطفئ عيون الموقد لتوه مرتديا فانلته الحملات والشورت، فتح الباب، وإذا بها تدخل دافعة الباب خلفها بقميص نومها الأحمر الشفاف عاري الصدر والذراعين، وقد زججت حاجبيها بالأسود، وملأت مساحة وجهها بالأحمر، لم يفكر الفتى القروي المذعور، لكن المفاجأة حثته على الجري والقفز من النافذة على الرصيف حافيا، وأشار لسيارة أجرة، واتجه إلى كليته وحدث الحارس وطلب منه إحضار ياسر، الذي جاء مهرولا في حين الحارس أعاره قميص قديم" استر نفسك يا ابني، لكن ياسر وبعد سماع حكايته ظل يتخيل المرأة وهي العفية الممتلئة تقبض على حسام أقلهم حجما وأكثرهم رقة قال ضاحكا: "مالكش في الطيب نصيب".

اجتمع الأصدقاء الأربعة على المقهى المجاور واتفقوا على ترك البيت، والبحث عن مكان آخر، فقد كان كل خوفهم من أن تضيع منهم تلك السنة التي قاربت على الإنتهاء بسبب هوس تلك المرأة، دائمة الرغبة في الرجال، وأخذوا يترحمون على أيام طارق العايق الذي كان يجنبهم رغبات " أم عمرو". وبمساعدة زميل لهم وجدوا شقة بعيده عن شقة "الكمين" تلك.

وبعد عدة محاولات فاشلة نزلت " أم عمرو" ومعها خادمتها تحمل صينية نحاسية كبيرة تحوي أشهى الطعام الذي لا يستمتعون به إلا عند زيارة أهليهم في الأجازات، فتح لها ياسر مزدردا ريقة ولم ينزل عينيه عن تلك الوليمة: ليه التعب ده بس؟ فردت في جدية :مش انتو حتمشوا بكرة؟ اعتبروه حفل وداع، وطلعت مع خادمتها. ظنوا أنها شعرت بالذنب وأرادت أن تترك لديهم ذكرى تنسيهم شغفها، ومحاولاتها المكشوفة السابقة، وكاد ياسر أن يلوك قطعة لحم، لكن حسام صرخ عاليا، وضرب يده فسقطت قطعة اللحم على الأرض وسط ذهولهم.

قال لهم: لا يمكن الست دي تعمل خير، الأكل ده مسموم.

أخذ حسام يتخيل لو كان مسموما بالفعل، وسقط الاربعة صرعى رغبة أم عمرو.

قال ياسر:نجرب في الكلب موجود تحت الشباك.

فاستحسنوا الفكرة والقوا بقطعتين كبيرتين من اللحم كي يلتهمها المسكين بسرعة، وينتهي قلقهم وانتظارهم ويلتهموا هم بدورهم بقية الوليمة الشهية.

دقائق معدودة وقفوا خلف بعضهم يتفرجون باستعجال على الحيوان المسكين، الذي بدأ في سعال وتألم، ثم تلك الرغوة التي سالت من خطمه، يالله، علَّ الذنب يعود على تلك الهائجة.

تركوا الصينية النحاسية أمام الباب، وأغلقوه . وقد تخيل كل منهم نفسه يدور في دوامات مؤلمة ويرغي فمه.

قرروا المغادرة تلك الليلة، جمع كل منهم ملابسه وكتبه في أكياس صغيرة يناولونها لحسام أسفل النافذة، وبدوره يضعها في شنطة سيارة

الأجرة، التي جعلوها مخفية خلف شجرة الفيكس الكبيرة، حتى لا تلمحها المرأة.

نزلوا الثلاثة وتركوا لياسر مهمة توصيل المفتاح لصاحبة العمارة، خبط على بطن الباب خبطات سريعة فتحت كانت شبه عارية مد يده لها بالمفتاح فأمسكت كفه وحاولت شده إلى داخل شقتها، لكنه نجح في انتزاعها، وسبها بصوت عال عدة شتائم حتى أن بعض الجيران فتحوا أبوابهم متأففين، وقال أحدهم مستنكراً:

"هي الوليه دي مش حتبطل بقى..؟"

ثم صفق باب شقته بشدة .